أساليب الأمر والنهي والاستفهام في جزء من الصحيفة السجادية
(الأيام المباركة أنموذجًا)

أ.م.د. باقر جواد الزجاجي[1]
د. محمد حسن ألأسدي[2]

ملخص البحث

مما لا شك فيه أنّ النحو والأدب بكل صنوفه صنوان لا يفترقان، فالعالم مهما علا قدره وعظمت منزلته وارتفع شأنه لا يستغني عن علم النحو الذي به تعرف أواخر الكلم، من هذا المنطلق ولما لاحظناه من كثرة دوران أساليب الأمر والنهي والاستفهام في الصحيفة السجادية ارتأينا أن ندرس هذه الأساليب الثلاثة في أيام مخصوصة ورد ذكرها في ذلك السفر الخالد.

للإمام زين العابدين عليه السلام، والذي جعلنا أكثر ميلاً للموضوع ما وجدناه من رصانة، وبلاغة، وفصاحة، ودقة في اختيار الكلمات وذلك الخطاب الممزوج بالخشوع، والتضرع، والرهبةٍ، وهذا ليس ببعيد عن إمام نهل من معين القرآن وتربى على معانيه، وارتشف من رحيقه حتى بات له ظلاً ومفزعاً.

إن ما ذكرناه من مزايا جعلت تلك الكلمات الخالدة المضيئة ترنيمة يرددها المؤمنون السالكون طريق النور، والحقِ ما دارتِ الأيام والسنون.

لقد انتظم البحث في مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، ثم قائمة بالمصادر والمراجع. تحدثنا في المقدمة عن دواعي اختيار هذا الموضوع بعد أن وجدنا أنَّ هذه الأساليب الثلاثة قد كثرت وتميزت في تلك الأيام المخصوصة كيوم الفطر، ويوم عرفة، ويوم الأضحى، وأيام الجمع، والذي جعلنا مشدودين أكثر للموضوع تلك الفصاحة والبلاغة، والعذوبة، والدقة في اختيار الكلمات، وذلك الخطاب الممزوج بالخشوعِ، والتضرع. فآثرنا تناول الموضوع من جانب نحْوي لغوي بلاغي متخذين من تلك الأساليب أنموذجاً لعملنا الذي كانت له نتائجه سنذكرها في الخاتمة إنْ شاء الله.

---

١ - كلية الآداب، جامعة اهل البيت عليهم السلام
٢ - كلية الآداب، جامعة اهل البيت عليهم السلام

http://abu.edu.iq

المقدمة

مما لا شك فيه أنّ النحو والأدب بكل صنوفه صنوان لا يفترقان، فالعالم مهما علا قدره وعظمت منزلته وارتفع شأنه لا يستغني عن علم النحو الذي به تعرف أواخر الكلم، من هذا المنطلق ولما لاحظناه من كثرة دوران أساليب الأمر والنهي والاستفهام في الصحيفة السجادية ارتأينا أن ندرس هذه الأساليب الثلاثة في أيام مخصوصة ورد ذكرها في ذلك السفر الخالد .

للإمام زين العابدين عليه السلام ، والذي جعلنا أكثر ميلاً للموضوع ما وجدناه من رصانة، وبلاغة، وفصاحة، ودقة في اختيار الكلمات وذلك الخطاب الممزوج بالخشوع، والتضرع، والرهبة، وهذا ليس ببعيد عن إمام نهل من معين القرآن وتربى على معانيه، وارتشف من رحيقه حتى بات له ظلاً ومفزعاً .

إن ما ذكرناه من مزايا جعلت تلك الكلمات الخالدة المضيئة ترنيمة يرددها المؤمنون السالكون طريق النور، والحق ما دارت الأيام والسنون .

لقد انتظم البحث في مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، ثم قائمة بالمصادر والمراجع . تحدثنا في المقدمة عن دواعي اختيار هذا الموضوع بعد أن وجدنا أنّ هذه الأساليب الثلاثة قد كثرت وتميزت في تلك الأيام المخصوصة كيوم الفطر، ويوم عرفة، ويوم الأضحى، وأيام الجمع، والذي جعلنا مشدودين أكثر للموضوع تلك الفصاحة والبلاغة، والعذوبة، والدقة في اختيار الكلمات، وذلك الخطاب الممزوج بالخشوع، والتضرع . فآثرنا تناول الموضوع من جانب نحوي لغوي بلاغي متخذين من تلك الأساليب أنموذجاً لعملنا الذي كانت له نتائجه سنذكرها في الخاتمة إنْ شاء الله .

في المبحث الأول جاء كلامنا عن الأمر الذي ورد ذكره في كتب القدماء، ولكننا لو عُدْنا إلى كتب المتأخرين لوجدناهم لم يفردوا له بحثاً خاصاً – بجمع صيغه، وتراكيبه، وطبيعته، وأصل معناه، والمعاني الإضافية التي يمكن أن يستعمل فيها، وإنما تناولوا مباحثه في أبواب متفرقة، ثم بيّنا أنّ النحويين يفرقون بين استعمال الصيغة في الأمر، وبين استعمالها في الدعاء، أو الالتماس ثم ذكرنا أنّ البلاغيين يشترطون في الأمر (الاستعلاء) وأنّ الدعاء يشترطون فيه (الخضوع والتضرع) وأنّ الالتماس يشترطون فيه (التساوي مع نفي التضرع والاستعلاء) وهذا ما ذهب إليه بعض النحاة المتأخرين، بعدها اخترنا نماذج لأدعية وردت بصيغة الأمر كانت آية في الصياغة والسبك، والدقة وقفنا عند بعضها متأملين، محللين مبينين مدلولها وغرضها فألفيناها تتمثل بالتسليم بعظمة الخالق ووحدانيته وسلطانه .

أمّا المبحث الثاني فقد خصصناه لأسلوب النهي ذاكرين صيغته الوحيدة التي أجمع عليها النحاة، وكيف فرّقوا بين استعمال الصيغة في معنى النهي وبين استعمالها في معنى الدعاء والالتماس، ثم أشرنا إلى اشتراط البلاغيين (الاستعلاء) في صيغة (لا تَفْعَل) وإذا لم تُستعمل على سبيل الاستعلاء سمّوها دعاءً أو التماساً، بعدها ذكرنا متابعة بعض النحاة المتأخرين للبلاغيين في اشتراطهم الاستعلاء في النهي وانتهينا بذكر بعض آراء النحاة في (لا الناهية) وختمنا المبحث بانتقاء نماذج لأدعية وردت بصيغة النهي، صِيغَت بأسلوب يدلّ على تمكن من اللغة، والبيان، وقد وقفنا عند بعضها مبهورين ذاكرين غرضها، ومدلولها .

أمّا المبحث الثالث فتناولنا فيه أسلوب الاستفهام مبتدئين بذكر معناه موضّحين أنّه يُشارك الشرطَ في كونه كلاماً معقوداً على الشك، بعدها وقفنا عند آراء النحاة في الاستفهام . الذاهب إلى أنّ الاستفهام في القرآن يختلف عن الاستفهام في كلام البشر، لأنّ الله تباركَ وتعالى لا يستفهم خَلْقه عن شيء لذا كان الاستفهام في القرآن غير حقيقي لأنّه لا يحتاج إلى جواب، فهو صادر من عالِم الغيب والشهادة، بعدها أشرنا إلى أنّ النحاة والمفسرين، والبلاغيين شغلوا أنفسهم في الوقوف على الأسباب والأغراض التي تدفع المتكلم إلى استعمال الاستفهام في غير معناه الحقيقي، وإذا خرج الاستفهام عن حقيقته واستعمل في معانٍ أُخرى هل نقولُ: إنّ معنى الاستفهام موجود فيه وأنضمّ إليه معنى آخر، أم نقول: أنّه تجرّد من الاستفهام

http://abu.edu.iq

. وختمنا المبحث بالكلام عن أدوات الاستفهام أيّهما أصل وأيّهما فرع ؟ ثم لماذا بُنيت أسماء الاستفهام ؟ بعدها ذكرنا نصوصًا تضمنت استفهامات تدور مدلولاتها حول الإقرار والتسليم والتعجب، والنفي، والتضرع، والخشوع، والتعظيم، والاسترشاد، وغيرها من المعاني.

ختامًا نرجو أن نكون قد وفقنا في تسليط الضوء على جانب مهم من الصحيفة السجادية، ذلك هو الجانب النحوي، واللغوي، والبلاغي لما له من دور فاعل ومؤثر في جودة النص، واستقامته ومن الله الرضا والقبول والسلام .

المبحث الأول: الأمر

عندما تُذكر أساليب الطلب ينصرف الذهن إلى أساليب: الأمر والنهي، والاستفهام، والنداء، والتمني، والترجي، والتحضيض، والعرض، ولو رجعنا إلى كتب النحاة الأوائل كسيبويه (ت: ١٨٠هـ) نجده قد أفرد بابًا خاصًا للأمر، والنهي بعنوان: (باب الأمر والنهي) [٣] . ولكننا لو عدنا إلى كتب النحو المتأخرة لم نجد بحثًا خاصًا بأسلوب الأمر يجمع صيغه وتراكيبه، ويبحث في طبيعته، وأصل معناه والمعاني الإضافية التي يُمكن أن يُستعمل فيها، وإنما نجد النحاة قد تناولوا مباحثه في أبواب متفرقة، فتناولوا صيغة أمر المخاطب (افْعَلْ) ضمن موضوع المعرب والمبني وتناولوا صيغة أمر غير المخاطب (ليفعَلْ) ضمن موضوع عوامل الجزم، وتناولوا صيغة الأمر بالمصدر ضمن موضوع إعمال المصدر، وتناولوا الألفاظ الأخرى الدالة على الأمر، والتي أطلق النحاة عليها أسماء الأفعال ضمن موضوع خاص بها [٤] .

لقد فرّق النحاة بين استعمال الصيغة في الأمر وبين استعمالها في الدعاء وفي ذلك يقول سيبويه: (وأعلم أن الدعاء بمنزلة الأمر والنهي، وإنما قيل (دعاء) لأنه أُستعظم أن يُقال أمر، أو نهي) [٥] . ويقول المبرد (ت: ٢٨٥هـ): (والدعاء يجري مجرى الأمر والنهي، وإنما سُمي هذا أمرًا، أو نهيًا، وقيل للآخر (طلب) للمعنى فأما اللفظ فواحد فلو قلت للخليفة (أنظر في أمري) لقلت: سألته ولم تقل (أمرته) [٦]، ولو أخذنا برأي البلاغيين لوجدنا أن الأمر عندهم يشترط فيه (الاستعلاء) ولو من الأدنى، وإن الدعاء يشترط فيه التضرع، والخضوع، ولو من الأعلى، والالتماس يشترط فيه التساوي مع نفي التضرع والاستعلاء [٧] .

بينما نجد من النحاة ولاسيما المتأخرين من وافق البلاغيين في رأيهم فهذا ابن يعيش (ت: ٦٤٣هـ) يشترط الاستعلاء لأجل أن يُسمي الصيغة أمرًا وهو لا يرتضي تسميتها أمرًا مع عدم (الاستعلاء) وعلى هذا قسّم صيغة (افْعَلْ) إلى أمر، وطلب، ودعاء فقال: (إعلم أن الأمر معناه طلب الفعل بصيغة مخصوصة وله ولصيغته أسماء بحسب إضافاته فإن كان من الأعلى إلى من دونه قيل له أمر، وإن كان من النظير إلى النظر قيل له طلب، وإن كان من الأدنى إلى الأعلى قيل له: (دعاء) [٨] . والشيء نفسه قال به ابن هشام (ت: ٧٦١هـ) الذي قسّم صيغة (ليفعل) إلى أمر، ودعاء، والتماس [٩]، وهذا ما ذهب إليه السيوطي (ت: ٩١١هـ) في الإتقان [١٠] .

---

(٣) الكتاب: ١/١٣٧- ١٤٧.
(٤) أساليب الطلب: ٨٣.
(٥) الكتاب: ١/١٤٢.
(٦) ينظر المقتضب: ٢/٤٤.
(٧) ينظر: شروح التلخيص: ٢/٣٢١.
(٨) شرح المفصل: ٧/٥٨.
(٩) ينظر: مغني اللبيب: ١/٢٢٣.
(١٠) ينظر: الإتقان في علوم القرآن: ١/١٧١.

http://abu.edu.iq

وعند رجوعنا إلى الصحيفة السجادية وخصوصاً أدعية الإمام عليه السلام في الأيام المباركة كيوم الفطر، ويوم عرفة، ويوم الأضحى، ويوم الجمعة، والتي اتخذناها نموذجاً لبحثنا المتواضع هذا وجدنا أنّ صيغة (افعل) تكررت كثيراً لما تتضمنه من (تضرع، وخشوع، وخشية) وقد حاولنا إيراد بعضاً منها بغية تأملها والوقوف عندها فرأيناها تتمثل بما يأتي:

ت	نماذج من أدعية الإمام السجاد (عليه السلام)	الصفحة	نوع الدعاء
١.	واعني اللّهم على جهادِ عدوكَ في سبيلكَ مع وليّكَ	٣١٢	خاص
٢.	اللّهم فأرني ذلكَ السبيلَ حتى أقاتِلَ فيه بنفسي	٣١٢	خاص
٣.	إلهي فكن بي رؤوفا رحيما واقبلني وتقبل مني	٣١٢	خاص
٤.	فأعني بالتوفيق على بلوغ رضاكَ	٣١٣	خاص
٥.	وأشركني يا الهي في دعاءِ من أحببته	٣١٣	خاص
٦.	فاستجب لي ولهم يا أرحم الراحمين	٣١٣	دعاء عام
٧.	واسمع نجواي واستجب دعائي	٣١٣	خاص
٨.	رب صلِ على محمد وآل محمد المنتجبِ	٣٢٠	عام
٩.	وبارك عليهِ وأتمّ بركاتكَ وترحم عليه أمتع رحماتكَ	٣٢٠	خاص
١٠.	رب صلِ على محمدٍ وآلهِ صلاة زاكية	٣٢١	عام
١١.	رب صلِ على أطايبِ أهل بيته	٣٢٢	عام
١٢.	رب صلِ عليهم زنةَ عرشكَ وما دونه	٣٢٢	عام
١٣.	اللّهم فأوزع لوليك شكرَ ما أنعمتَ به عليه	٣٢٣	خاص
١٤.	اللّهم وصلِ على أوليائهم المعترفين بمقامِهم	٣٢٣	عام
١٥.	وأجعل لي في هذا اليوم نصيباً أنالُ به حظاً من رضوانكَ	٣٢٥	خاص
١٦.	تغمدني في يومي هذا بما تتغمد به من جارَ إليك متنصلاً	٣٢٦	خاص
١٧.	ونجّني من غمرات الفتنة وخلّصني من لهواتِ البلوى	٣٢٧	خاص
١٨.	وهب لي التطهير من دنسِ العصيان	٣٢٨	خاص
١٩.	وطوقني طوقَ الإقلاعِ عما يحبط الحسناتِ	٣٢٨	خاص
٢٠.	واذهب عني درنَ الخطايا وسربلني بسربال[١١] عافيتكَ	٣٢٨	خاص
٢١.	واجعل رغبتي إليك فوق رغبة الراغبين	٣٢٩	خاص
٢٢.	فأحيني حياة طيبة تنتظمُ بما أريد	٣٢٩	خاص
٢٣.	وزدني إليك فاقة وفقراً وأعذني من شماتة الأعداء	٣٢٩	خاص
٢٤.	واعمر ليلي بإيقاظي فيه لعبادتك وتفردي بالتهجر لكَ	٣٣٠	خاص
٢٥.	واجعل لي عندك مقيلاً آوي إليه مطمئناً	٣٣١	خاص
٢٦.	وانزع الغلّ من صدري للمؤمنين وأعطف بقلبي على الخاشعين	٣٣١	خاص

(١١) (قميصَ)

http://abu.edu.iq

٢٧.	ووفر علي حظوظ الإحسان من أفضالك	٣٣١	خاص
٢٨.	وتمّم سبوغ نعمتك علي وظاهر كراماتها لدي	٣٣١	خاص
٢٩.	واجمع لي الغنى والعفاف والدعة والمعافاة والصحة والسعة	٣٣٢	خاص
٣٠.	وصن وجهي عن الطلب إلى أحد من العالمين	٣٣٢	خاص
٣١.	واجعل باقي عمري في الحج والعمرة ابتغاء وجهك يا رب العالمين	٣٣٢	خاص
٣٢.	ففرج عني ما ضاق به صدري	٣٣٥	خاص
٣٣.	فاحلم يا حليم عن جهلي وأقلني يا مقيل عثرتي	٣٣٦	خاص
٣٤.	سيدي أرحم تضرعي إليك وانتصابي بين يديك	٣٣٦	خاص
٣٥.	اللّهم أذهب عني كل هم وفرج عني كل غم	٣٣٧	خاص
٣٦.	اللّهم تقبل مني ما كان صالحا وأصلح مني ما كان فاسدا	٣٣٧	خاص
٣٧.	وأهدني في كل سبيل من سبل الحق وحط عني كل خطيئة	٣٣٧	خاص
٣٨.	اللّهم وارحم صراخي واعترافي بذنبي وتضرعي	٣٤٤	خاص
٣٩.	اللّهم اغفر لي ذنبي العظيم فإنه لا يغفر الذنب العظيم إلا العظيم	٣٤٤	خاص
٤٠.	يا تواب تب علي واقبل توبتي	٣٤٥	خاص
٤١.	اللّهم بلغ روح محمد وآل محمد عليهم السلام عني تحية وسلاما	٣٤٥	عام
٤٢.	اللّهم وأوسع علي من رزقك الحلال الطيب	٣٤٦	خاص
٤٣.	اللّهم من علي بالمغفرة وجملني بالعافية وأجرني من النار	٣٤٦	خاص
٤٤.	اللّهم اغفر لي ولوالدي ولمن ولدني من المسلمين	٣٤٧	عام
٤٥.	اللّهم فرج عن آل محمد وأجعلهم أئمة يهدون بالحق وبه يعدلون	٣٤٧	عام
٤٦.	اللّهم افسح لي في عمري وابسط لي في رزقي	٣٤٨	خاص
٤٧.	اللّهم أمنن به على فقراء المسلمين وأراملهم ومساكينهم	٣٤٨	عام
٤٨.	وتول قضاء كل حاجة هي لي بقدرتك عليها	٣٥٠	خاص
٤٩.	اللّهم واجعلني من أهل التوحيد والإيمان بك والتصديق برسولك	٣٥٢	خاص
٥٠.	وهب لنا يا الهي من لدنك فرجا بالقدرة التي بها تحيي أموات العباد	٣٥٢	خاص

المبحث الثاني: النهي

إذا كان للأمر أربع صيغ، فللنهي صيغة واحدة هي: المضارع المسبوق بـ (لا الناهية) والنحاة كلهم يجمعون على أن لا الناهية تختص بالدخول على الفعل المضارع فتقتضي جزمه، كما أنّ النهي في اصطلاحهم يعني نفي الأمر، يقول سيبويه (ت: ١٨٠هـ): (إنّ لا تضرب نفي لقوله اضرب) [١٢]، ويقول ابن السراج (ت: ٣١٦هـ): (إذا قلت قم إنما تأمره بأن يكون منه قيام، فإذا نهيت فقلت: لا تقم فقد أردت منه نفي ذلك فكما أنّ الأمر يراد به الإيجاب، فكذلك النهي يراد به النفي)[١٣].

(١٢) الكتاب: ١/١٣٦.
(١٣) الأصول في النحو: ٢/١٦٣.

http://abu.edu.iq

لقد اشترط البلاغيون الاستعلاء في صيغة (لا تفعلْ) وإن لم تُستعمل على سبيل الاستعلاء سموها (دعاءً أو التماساً) وهو يرون أن صيغة (لا تفعل) تستعمل في معنى الدعاء أو الالتماس استعمالها في معنى النهي حقيقة لا مجازاً [١٤] .

أمّا النحاة القدامى فقد فرقوا بين استعمال صيغة (لا تفعل) في معنى النهي وبين استعمالها في معنى الطلب أو الدعاء، يقول المبرّد (ت: ٢٨٥هـ): (اعلم أنّ الطلب من النهي بمنزلة من الأمر يجري على لفظه كما جرى على لفظ الأمر) [١٥].

وقد تابع بعض النحاة المتأخرين البلاغيين في اشتراط (الاستعلاء) في صيغة (لا تفعل) لأجل تسميتها نهياً، ولذلك هم يسمونها دعاءً إن استعملت على سبيل التضرع والتماساً ان استعملت في حق المساوي في الرتبة .

يقول ابن هشام (ت: ٧٦١هـ): (ولا فرق في اقتضاء (لا) الطلبية بين كونها مفيدة للنهي، وكونها للدعاء، كقوله تعالى: ﴿ **ربنا لا تؤاخذنا** ﴾ (البقرة /٢٨٦)، وكونها للالتماس كقولك لنظيرك غير مستعلٍ عليه (لا تفعلْ كذا)، وكذا الحكم إذا خرجت من الطلب إلى غيره (كالتهديد) في قولك لولدك أو عبدك (لا تطعني) [١٦] .

وللسيوطي (ت: ٩١١هـ) رأي مفاده بأن صيغة النهي موضوعة أصلاً للتحريم، فقال: (النهي وهو طلب الكف عن فعل، وصيغته (لا تفعلْ) وهي حقيقة في التحريم وترد مجازاً لمعان منها: الكراهة نحو قوله تعالى: ﴿ **ولا تمشِ في الأرضِ مرحًا** ﴾ (الإسراء/٣٧) [١٧] . والصحيح أن صيغة النّهي موضوعة لطلب الكف عن الفعل ولا يتعيين فيها التحريم أو الكراهة إلا مع وجود قرينة تدل على ذلك.[١٨]

بعد أن استعرضنا آراء النحويين والبلاغيين في النهي وكيف فرقوا بين النهي والدعاء والالتماس تيقّنا أنّ أداة النهي (لا) تُستعمل مع المُخاطب، والغائب على السواء. يقول المبرّد: (فأما حرف النهي فهو (لا) وهو يقع على فعل الشاهد، والغائب وذلك قولك: (لا يقُمْ زيد) و (لا تقُم يا رجُل) [١٩] . وذهب بعضهم إلى أن الأكثر فيها كونها للمخاطب [٢٠]، أما بخصوص أصل (لا) فقد زعم بعض النحاة أن أصلها لام الأمر زيدَ عليها ألف، ففتحت لأجلها، وانتقل بذلك معناها من الأمر إلى النهي، وزعم السهيلي (ت: ٥٨١هـ) أنها (لا) النافية، والجزم بعدها بـ(لام الأمر) المضمرة قبلها ولكنها حُذفت كراهة اجتماع لامين في اللفظ [٢١] . وهذا الرأي ضعيف.

ولقد ورد في الصحيفة السجادية دعاء بصيغة (لا تفعلْ) حاولنا جردها، والوقوف عندها فألفيناها تنحصر بالآتي:

ت	نماذج من أدعية الإمام السجاد (عليه السلام)	الصفحة	نوع الدعاء
١.	ولا تختم يومي بخيبتي ولا تجبهني بالرد في مسألتي	٣١٦	خاص
٢.	ولا تردني صفراً مما ينقلبَ به المتعبدون لكَ من عبادكَ	٣٢٥	خاص

(١٤) أساليب الطلب: ٤٦٦.
(١٥) المقتضب: ١٣٥/٢.
(١٦) مغني اللبيب: ٢٤٧/١- ٢٤٨.
(١٧) الإتقان: ٨٢/٢.
(١٨) أساليب الطلب: ٤٦٩.
(١٩) المقتضب: ١٣٤/٢.
(٢٠) ينظر: همع الهوامع: ٥٦/٢.
(٢١) ينظر: الجنى الداني: ٣٠٠.

http://abu.edu.iq

٣.	ولا تؤاخذني بتفريطي في جنبكَ وتعدي طوري في حدودكَ	٣٢٦	خاص
٤.	ولا تمحقني فيمن تمحق من المستخفين بما أوعدت	٣٢٧	خاص
٥.	ولا تعرض عني إعراض من لا ترضى عنه بعد غضبك	٣٢٧	خاص
٦.	ولا تؤيسني من الأمل فيك فيغلب عليّ القنوط من رحمتك	٣٢٧	خاص
٧.	ولا تمتحني بما لا طاقة لي به فتبهظني[٢٢] مما تحمّلْنيهِ من فضل محبتك	٣٢٧	خاص
٨.	ولا ترسلني من يدك إرسال من لا خير فيه ولا حاجة بك إليه	٣٢٧	خاص
٩.	ولا ترم بي رمي من سقط من عين رعايتك	٣٢٨	خاص
١٠.	ولا تشغلني بما لا ادركهُ إلا بك عما لا يرضيك عني غيرهُ	٣٢٨	خاص
١١.	ولا تكلني إلى حولي وقوتي دون حولكَ وقوتكَ	٣٢٨	خاص
١٢.	ولا تخزني يوم تبعثني للقائك	٣٢٩	خاص
١٣.	ولا تفضحني بين يدي أوليائك	٣٢٩	خاص
١٤.	ولا تنسني ذكركَ	٣٢٩	خاص
١٥.	ولا تذهب عني شكرك	٣٢٩	خاص
١٦.	ولا تخذلني عند فاقتي إليك	٣٢٩	خاص
١٧.	ولا تهلكني بما أسديته إليك	٣٢٩	خاص
١٨.	ولا تجهني[٢٣] بما جبهت به المعاندين لكَ	٣٢٩	خاص
١٩.	ولا تمدد لي مدًا يقسو معه قلبي	٣٣٠	خاص
٢٠.	ولا تقرعني قارعة[٢٤] يذهب لها بهائي	٣٣٠	خاص
٢١.	ولا تسمني خسيسة يصغر لها قدري	٣٣٠	خاص
٢٢.	ولا ترعني روعة أبلس بها ولا خيفة أوجس دونها	٣٣٠	خاص
٢٣.	ولا تذرني في طغياني عامهاً[٢٥] ولا في غمرتي ساهيًا	٣٣٠	خاص
٢٤.	ولا تجعلني عظة لمن اتعظ ولا نكالا لمن اعتبر	٣٣٠	خاص
٢٥.	ولا تمكر بي فيمن تمكر به	٣٣٠	خاص
٢٦.	ولا تبدل بي غيري	٣٣٠	خاص
٢٧.	ولا تغير لي اسمًا	٣٣٠	خاص
٢٨.	ولا تبدل لي جسمًا	٣٣٠	خاص
٢٩.	ولا تتخذني هزوًا لخلقكَ	٣٣٠	خاص
٣٠.	ولا تقايسني بعظيمات الجرائر	٣٣١	خاص
٣١.	ولا تحيط حسناتي بما يشوبها من معصيتك	٣٣٢	خاص
٣٢.	ولا تجعلني للظالمين ظهيرا	٣٣٢	خاص

(٢٢) (فتثقلني)
(٢٣) (لا تردني)
(٢٤) (الداهية)
(٢٥)(مترددًا- حائرًا)

http://abu.edu.iq

٣٣.	ولا تسلّط عليّ من لا يرحمني ولا باغيًا ولا حاسدًا	٣٣٧	خاص
٣٤.	ولا تردني خائبًا	٣٤٥	خاص
٣٥.	لا تقطع رجائي	٣٤٥	خاص
٣٦.	ولا تكلني إلى احد سواك	٣٤٧	خاص
٣٧.	ولا تخيّب اليوم ذلك من رجائي	٣٥٠	خاص
٣٨.	ولا تهلكني يا إلهي غمًا حتى تستجيب لي	٣٥٢	خاص
٣٩.	ولا تشمت بي عدوي	٣٥٢	خاص
٤٠.	ولا تمكنه من عنقي ولا تسلّطه عليّ	٣٥٢	خاص
٤١.	ولا تبتليني ببلاء على أثر بلاء	٣٥٣	خاص
٤٢.	ولا تجعلني للبلاء غرضًا	٣٥٢	خاص
٤٣.	ولا تهلكني مع من تهلك من المعترضين لمقتك	٣٢٧	خاص
٤٤.	ولا تتبرني [٢٦] فيمن تتبر من المنحرفين عن سبلك	٣٢٧	خاص
٤٥.	ولا تستدرجني بإملائك لي استدراج من منعني خير ما عنده	٣٢٧	خاص

المبحث الثالث: الاستفهام

مفهوم الاستفهام في اللغة والاصطلاح واحد، ويُراد به طلب الفهم [٢٧]، يقول الجرجاني (ت: ٤٧١هـ) فيهما: ((وبينهما من المناسبة ما لا يخفى، ألا ترى أنّكَ إذا قلتَ: أضربتَ زيدًا ؟ كنت طالبًا ما لم يستقرّ عندك، كما أنّكَ إذا قلتَ: إن تضرب زيدًا اضربْ كان كلامًا معقودًا على الشك)) [٢٨].

ولكون الاستفهام طلب ما في الخارج أو تحصيله في الذهن لزم ألاّ يكون حقيقيًا إلا إذا صدر من شاك مصدّق بإمكان الإعلام ولذلك ذهب النحاة إلى أنّ الاستفهام في القرآن يختلف عن الاستفهام في كلام البشر، لأن المستفهم غير عالم إنما يتوقع الجواب فيعلم به، والله تبارك وتعالى لا يستفهم خلقه عن شيء لذا فالاستفهام في القرآن غير حقيقي لأنه واقع ممن يعلم ويستغني عن طلب الإفهام، وإنما يخرج الاستفهام في القرآن مخرج التوبيخ والتقرير [٢٩]، لذا فإن أكثر استفهامات القرآن لا تحتاج إلى جواب لأنها من عالم الغيب والشهادة [٣٠]، وعلى هذا لا يكون الاستفهام حقيقيًا إلا إذا كان لفظه الظاهر موافقًا لمعناه الباطن عند سؤالك عمّا لا تعلمه فتقول: ما عندك ؟ مَن رأيت ؟ [٣١].

لقد ذهب النحاة أيضًا إلى أن الاستفهام له الصدارة في الكلام وفي ذلك يقول صاحب المفصل الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ): ((وللاستفهام صدر الكلام، ولا يجوز تقديم شيء مما في حيزه عليه فلا تقول: ضربت أزيدًا)) [٣٢]، وإنما يجب أن تكون لأدوات الاستفهام الصدارة في الكلام لأجل أن تفيد فيه معنى الاستفهام، شأنها في ذلك شأن أدوات المعاني الأخرى، لأنها إذا تقدّم عليها شيء من الجملة فقدت الدلالة على معنى الاستفهام وهذا ما ذهب إليه ابن يعيش أيضًا بقوله: ((إن الاستفهام له صدر الكلام من قبل

(٢٦) ولا تدمرني
(٢٧) ينظر: أساليب الطلب: ٣٠٧.
(٢٨) المقتصد في شرح الإيضاح: ١١٢٠/٢.
(٢٩) ينظر: البرهان: ٣٢٧/٢، والمقتضب: ٢٩٢/٣.
(٣٠) ينظر: البحر المحيط: ٤١٨/٢.
(٣١) ينظر: الصاحبي: ١٨١.
(٣٢) المفصل: ٣٢٠.

http://abu.edu.iq

أنه حرف دخل على جملة تامة خبرية، فنقلها من الخبر إلى الاستخبار فوجب أن يكون متقدما عليها ليُفيد ذلك المعنى فيها)) [٣٣] .

وأكد القولين السابقين الاسترابادي (ت: ٦٨٦هـ) عندما قال: ((كلَّ ما يغيّر معنى الكلام ويؤثر في مضمونه وكان حرفا فمرتبته الصدر)) [٣٤] .

الاستفهام قد يخرج عن حقيقته بأن يقع ممن يعلم ويستغني عن طلب الفهم، والنحاة والمفسرون، والبلاغيون كانوا حريصين على الوقوف على الأسباب أو الأغراض التي تدفع المتكلم إلى استعمال الاستفهام في غير معناه الحقيقي، فأبو عبيده (ت: ٢١٠هـ) يرى أن الاستفهام قد لا يطلب به المتكلم الفهم لنفسه، وإنما يريد به تفهيم المخاطب أو السامع فيخرج الاستفهام إلى معنى النهي، أو التهديد، أو التحذير [٣٥] .

ونجد المبرد يذكر أن الاستفهام ولاسيما في القرآن الكريم قد يستعمل في غير معناه الحقيقي، فلا يُراد به طلب الفهم للمتكلم، وإنما يراد به توبيخ السامع وتقريره وذلك تنبيها له على خطئه وزجرا له عن ركوب ما يؤدي به إلى التهلكة [٣٦] .

وإذا خرج الاستفهام عن حقيقته واستعمل في معان أخرى هل نقول إن معنى الاستفهام موجود فيه وانضمّ إليه معنى آخر ؟ أو نقول أنّه تجرد من الاستفهامً بالكلّية ؟ لقد عالج المفسرون هذا الموضوع، فأبو عبيده (ت: ٢١٠هـ) يذهب إلى أن (الهمزة) المستعملة في معنى التقرير تتجرد من معنى الاستفهام، بل هي أداة ثانية لا صلة لها بهمزة الاستفهام [٣٧]، أما النحاة فلهم رأيهم فهذا ابن جني (ت: ٣٩٢هـ) يرى إن استعمال الاستفهام في غير معناه يجوز لأجله أن تتجرد أداة الاستفهام في بعض الأحوال يصرع ذلك المعنى المستعملة فيه فتقع (هل) مثلاً في بعض الأحوال موضع حرف التحقيق [٣٨] كقوله تعالى: ﴿ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴾ ، أما السبكي (ت: ٧٥٦هـ) من البلاغيين فيرى أن معنى الاستفهام موجود وباقٍ في أكثر المعاني التي يخرج إليها الاستفهام [٣٩] .

بخصوص أدوات الاستفهام أيهما أصل وأيهما فرع ؟ فالنحاة يرون أن الهمزة هي أم باب أدوات الاستفهام ويذهب أكثرهم أنها وحدها الأداة الأصلية في الاستفهام التي لا تستعمل في غيره، وأنّ بقية أدوات الاستفهام قد تضمنت معنى همزة الاستفهام فحملت عليها واستعملت استعمالها، وإنّ معنى الاستفهام عارض فيها مستفاد من همزة مقدّرة معها [٤٠] .

يقول سيبويه في همزة الاستفهام: ((إنها حرف الاستفهام الذي لا يزول عنه إلى غيره وليس للاستفهام في الأصل غيره)) [٤١] . أما لماذا بنيت أسماء الاستفهام ؟ فالنحاة يرون إنما بنيت لأنها تضمنت معنى همزة الاستفهام، فصاحب المقتصد في شرح الإيضاح عبد القاهر الجرجاني (ت: ٤٧١هـ) يقول: ((وأما سبب البناء فتضمن الحرفية في (كيف) و (أين) ولما تضمن كل واحد منها معنى حرف الاستفهام بني كما يكون

(٣٣) شرح المفصل: ١٥٥/٨.
(٣٤) شرح الكافية: ٩٧/٢.
(٣٥) ينظر: مجاز القرآن: ١٨٣/١- ١٨٤.
(٣٦) ينظر: المقتضب: ٢٩٢/٣.
(٣٧) ينظر: مجاز القرآن: ٦٣/١.
(٣٨) ينظر: الخصائص: ٤٦٥/٢.
(٣٩) ينظر: عروس الأفراح (شروح التلخيص): ٣٠٦/٢- ٣٠٧.
(٤٠) ينظر: أساليب الطلب: ٣١٩.
(٤١) الكتاب: ٩٩/١.

http://abu.edu.iq

الحرف مبنيا))[٤٢]، وهذا ما ذهب إليه ابن عصفور: (ت: ٦٦٩هـ) بقوله: ((والأسماء كلها معربة إلا ما أشبه الحرف، أو تضمن معناه كأسماء الشرط فإنها تضمنت معنى (إنْ) وأسماء الاستفهام فإنها تضمنت معنى (الهمزة)[٤٣].

بعد هذا العرض لآراء النحاة، والمفسرين، والبلاغيين في مضمون الاستفهام وحقيقته لنتبين كيف وظّف الإمام السجاد (عليه السلام) هذا الأسلوب في صحيفته ؟ وأيّ غرض أراد به، ومن خلال تتبعنا وجدناه ينحصر بالآتي:

ت	نماذج من أدعية الإمام السجاد (عليه السلام)	الصفحة	نوع الدعاء
١.	إلهي أين المفر عنك ؟	٣١٢	عام، للخشية
٢.	فكم لي يا رب من ذنب أنا فيه مغرور متحير ؟	٣٣٣	خاص، إقرار
٣.	عافية مَنْ أرجو إذا لم أرجَ رحمتك؟	٣٣٥	تعظيم وإقرار
٤.	عفو مَنْ أرجو إذا لم أرجَ عفوك ؟	٣٣٥	تعظيم وإقرار
٥.	رحمة مَنْ أرجو إذا لم أرجَ رحمتك ؟	٣٣٥	تعظيم وإقرار
٦.	مغفرة مَنْ أرجو إذا لم أرجَ مغفرتك ؟	٣٣٥	تعظيم وإقرار
٧.	رزق مَنْ أرجو إذا لم أرجَ رزقك ؟	٣٣٥	تعظيم وإقرار
٨.	فضل مَنْ أرجو إذا لم أرجَ فضلك ؟	٣٣٥	تعظيم وإقرار
٩.	وكيف لا أشكرك يا إلهي ؟	٣٣٥	**خاص، تعظيم وتعجب**
١٠.	فمَنْ لي بعدك يا مولاي ؟	٣٣٦	**خاص، تعظيم وتضرع**
١١.	وكيف يستغني العبد عن ربه ؟	٣٣٦	**عام، تعظيم ونفي**
١٢.	وكيف يستغني المذنب عمن يملك عقوبته ومغفرته ؟	٣٣٦	عام، للنفي
١٣.	ما أنت صانعٌ بمقرٍّ لك بذنبه، خاشعٍ لك بذله ؟	٣٤٣	خاص، استسلام
١٤.	إلهي إنْ رفعتني فمَنْ ذا الذي يضعني ؟	٣٥٢	خاص وحدانية
١٥.	وإنْ وضعتني فمَنْ ذا الذي يرفعني ؟	٣٥٢	خاص وحدانية
١٦.	وإنْ أكرمتني فمَنْ ذا الذي يهينني ؟	٣٥٢	خاص وحدانية
١٧.	وإنْ أهنتني فمَنْ ذا الذي يكرمني ؟	٣٥٢	خاص وحدانية
١٨.	وإنْ عذبتني فمَنْ ذا الذي يرحمني ؟	٣٥٢	خاص وحدانية
١٩.	وإنْ أهلكتني فمَنْ ذا الذي يعرض لك في عبدك	٣٥٢	خاص وحدانية

إنّ المتأمل لأسلوب الاستفهام في هذا الجزء من الصحيفة يدرك حقيقة مغزاها: إنَّ الاستفهام لم يكن حقيقيا كما بدا من الأمثلة السابقة، وكيف يكون حقيقيًا والإمام يدعو ويناجي ربّ العزة العالم بالأشياء كلها الذي يعلم خائنة الأعين، وما تخفي الصدور، لأن الاستفهام الحقيقي معناه طلب العلم بشيء مجهول، وكيف يجهل –تنزهت أسماؤه– أشياء هي من صنعه وتكوينه، لذا فالمتتبع لأمثلة الاستفهام يجدها قد

(٤٢) المقتصد في شرح الإيضاح: ١/١٣٤- ١٣٥.
(٤٣) المقرّب: ١/٢٨٩.

http://abu.edu.iq

خرجت لمعان منها: التعظيم والتفخيم، كقوله: (وكيف يستغني العبد عن ربه)، والتسليم، كقوله عليه السلام: (ما أنت صانعٌ بمقرٍ لك بذنبه، خاشعٍ لكَ بذُله)، والإقرار: (فكم لي يا ربّ من ذنبٍ أنا فيه مغرورٌ متحير)، والدعاء كقوله: (فمن لي بعدَك يا مولاي)، ومعظم ما ورد في النصوص من (٣- ٨)، والتوجع كقوله: (عافيةُ من أرجو إذا لم أرجُ رحمَتك ؟)، وكذلك ما ورد في النصوص من (١٥- ١٩)، وسواها من المعاني التي صيغت بعبارات يجللها الخشوع، والانقياد، والتوسل لبارئ هذا الكون جبّار السموات والأرض، القائل في محكم كتابه العزيز: ﴿ هوالذىخلقلكممافى الأرضجميعًا ثم استوىإلى السماء فسواهُنَّ سبعَ سماواتٍ وهوبكل شىءٍ عليمٌ ﴾ **(البقرة/٢٩)** .

الخاتمة

يقينًا أن لكل عمل ثمرةٌ وحصيلةٌ، وقد كانت حصيلتنا بعد ملازمتنا لهذا المصنف جملة من النتائج نوجز أبرزها بما يأتي:

١. إنّ الأدعية بالأساليب المذكورة آنفا كانت أغلب معانيها مستوحاة من كلامه تبارك وتعالى.
٢. إن الصحيفة السجادية مثّلت أدب الدعاء خير تمثيل لأنها غاية في السبك والانتقاء والموضوعية.
٣. إن استشهاده عليه الصلاة والسلام بآيات من القرآن الكريم وكلام نبيه العظيم دليلان على أنّ هذين الموردين من موارد الاحتجاج كانا حاضرين لديه يعزز بهما كلامه ويدعمه.
٤. إنّ مناجاته لله جلّ ثناؤه كانت بعبارات يجللها الخشوع والرهبة والإيمان المطلق بوحدانيته.
٥. إن الاستفهام أينما ورد في القرآن لم يكن حقيقيًا بل كان مجازيًا خرج لأغراض مختلفة.

المصادر والمراجع

ت	اسم المصدر والمرجع
١.	الإتقان في علوم القرآن: لجلال الدين السيوطي، الطبعة الثالثة. مصر ١٩٥١م.
٢.	أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين: الدكتور قيس إسماعيل الأوسي، دار الكتب للطباعة والنشر ١٩٨٩م.
٣.	الأصول في النحو: لأبي بكر بن السراج، تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلي، النجف ١٩٧٣م.
٤.	البحر المحيط: لأبي حيان النحوي، الطبعة الأولى – مصر ١٣٢٨هـ.
٥.	البرهان في علوم القرآن: لبدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى – مصر ١٩٥٧م.
٦.	الجنى الداني في حروف المعاني: للحسن بن عبد الله المرادي، تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل – الطبعة الأولى حلب ١٩٧٣م.
٧.	الخصائص: لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، الطبعة الثانية، دار الهدى – بيروت.
٨.	شرح الكافية في النحو: لابن الحاجب لرضي الدين الاستربادي، دار الكتب العلمية – بيروت.
٩.	شرح المفصل: للزمخشري لموفق الدين بن يعيش، عالم الكتب – بيروت.
١٠.	شروح التلخيص: طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر.
١١.	ألصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها: لأحمد ابن فارس، ألقاهره ١٩١٠م، وطبعة بيروت

http://abu.edu.iq

	١٩٦٤م، تحقيق: مصطفى الشويمي .
١٢.	الصحيفة السجادية: الإمام زين العابدين (عليه السلام) مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت – الطبعة الأولى ١٤٣١هـ- ٢٠١٠هـ .
١٣.	الكتاب: لسيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مصر ١٩٦٦- ١٩٧٦م .
١٤.	مجاز القرآن: لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، الطبعة الثانية – بيروت ١٩٨١م .
١٥.	مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: لابن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني – القاهرة .
١٦.	المفصل في علم العربية: لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، دار الجيل – بيروت .
١٧.	المقتصد في شرح الإيضاح لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق: الدكتور كاظم بحر المرجان، منشورات وزارة الثقافة والإعلام – الجمهورية العراقية ١٩٨٢م .
١٨.	المقتضب: لأبي العباس المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة ١٣٨٦هـ .
١٩.	المقرب: لأبي عصفور، تحقيق: احمد عبد الستار الجواري، وعبد الله الجبوري، الطبعة الأولى، بغداد ١٩٧١- ١٩٧٢م .
٢٠.	همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية: لجلال الدين السيوطي، دار المعرفة – بيروت .

http://abu.edu.iq